جمعية إخوان الحرية في العراق ١٩٤١-١٩٤٥

أ٠م٠د عبد الرحيم ذو النون الحديثي/ معاون عميد كلية التربية

تمهيد

لم يمض عام على اندلاع الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ – ١٩٤٥ حتى باشرت المخابرات البريطانية بتاسيس جمعية اخوان الحرية في بعض الاقطار العربية ، لبث الدعاية الموالية للحلفاء في الحرب . واتخذت من لندن مركزاً لها . اما التمويل والأشراف فكان من قبل وزارة الاعلام البريطانية[١].من هنا تظهر الحاجة الى دراسة وتحديد طبيعة عمل هذه الجمعية .

اعتمد الباحث على المصادر الاصلية ، وهي الوثائق البريطانية العائدة لوزارة الخارجية البريطانية "P.R.O" وتعذر على الباحث الحصول على الوثائق العراقية الخاصة بالبحث . كما ان الكتابات عن هذه الجمعية قليلة جدا ويأمل الباحث انه قد وفق في الوصول الى حقيقة هذه الجمعية .

وقبل الكلام عن هذه الجمعية في العراق لابد من الاشارة الى نشاطها في الاقطار العربية التي ظهرت فيها.

جمعية اخوان الحرية في مصر وعدن

مارست بريطانيا تجاه المنطقة العربية خلال الحرب العالمية الثانية سياسة احتواء الحركة الوطنية لتوجه لها ضربة من خلال اسلوبها الدبلوماسي . فالسفارات البريطانية وجهاز المخابرات البريطاني نفذا هذه السياسة ، فاقاموا اتصالات ليس مع الفئات السياسية والاجتماعية الموجودة في السلطة فحسب ، بل اتجهت الى الجمعيات والتجمعات الشعبية التي تلعب دوراً رئيسياً خلال تصاعد الازمات السياسية واستخدمت لذلك جمعية اخوان الحرية لتحقيق اهدافها[٢].

وكانت البداية لهذا النشاط في عدن عندما اقدمت فاريا ستارك Freya Stark السكرتيرة في السفارة البريطانية ببغداد . بتشكيل مجاميع او خلايا من الاشخاص المعروفين والمؤثرين في الشعب هدفها خدمة القضية الديمقراطية – كما يسميها كورنواليس Corenwallis السفير البريطاني في بغداد – عن طريق الدعاية المنظمة لبريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية كي يبقى الامل في قلوب الذين تمنوا الخير لبريطانيا ، أي النصر لها في الحرب . وبذلك تأسست اول مجموعة تحمل اسم " اصدقاء الحرية " في صيف عام ١٩٤٠ [٣] .وفق مبدا السعادة في العطاء اكثر من السعادة في الاستلام [٤] . اذن كانت عدن المقر الرئيس الاول للجمعية التي افتتحت لها فروعاً في كل من مصر والعراق وفلسطين . واصبح فرعا مصر والعراق اهم من فرع عدن . نظرا للاهمية الخاصة لتي اولتها بريطانيا لكل من العراق ومصر[٥] .

وكانت الفترة مابين تأسيس الجمعية في عدن ومصر قصيرة ففي خريف عام ١٩٤٠ م اسست فاريا ستارك فروعا للجمعية في القاهرة ومدن مصرية اخرى وفق خطة نفذها الميجر سكيف Majer Scaife نتيجة الظروف الصعبة التي كانت تعيشها بريطانيا على جبهات القتال ومنها جبهة شمال افريقيا ، وبعد دخول ايطاليا الحرب بجانب المانيا في ١١ حزيران ١٩٤٠ م . وتهديد الجيش العاشر الايطالي المتواجد في ليبيا للاراضي المصرية [٦] . ونتيجة للجهود التي بذلت من اجل عمل اخوان الحرية قي مصر بلغ تعداد الاعضاء في الجمعية حتى عام ١٩٤٣ م (٥٠) الفاً موزعين على لجان منتشرة في الف مدينة وقرية مصرية [٧] .– وخطط سكيف مراقب عام الجمعية في الشرق الاوسط بحكم موقعه الوظيفي – كان مستشارا في وزارة المعارف المصرية – البناء التنظيمي لهذه الجمعية التي تتكون من :

١ – الهيئة التاسيسية : وهي السلطة الاولى ، وتتلف من عشرين عضواً .

٢ – المراقب العام .
٣ – مساعدو المراقب العام .
٤ – رؤساء اللجان الرئيسية واللجان الفرعية .
٥ – المكتب الرئيسي تخضع له كل منطقة .

وركزت جمعية اخوان الحرية في مصر بداية الامر على اساتذة وطلاب كلية الاداب / جامعة القاهرة ، لان سكيف كان يشغل ايضا منصب رئيس قسم اللغة الانكليزية في كلية الاداب ، فضلا عن وظيفته كمستشار . وجند سكيف الكثير من طلابه الذين توزعوا بعد تخرجهم على مراكز مهمة وخاصة الشركات البريطانية كشركة شل للبترول والمكتب الدولي لتوزيع الشاي[٨].

وتصف فاريا ستراك عملها في مصر وكيف بدا مع طالبين من كلية الاداب / المرحلة الثانية هما " محمد وكمال " اللذين دخلا دورة اجتماعات اسبوعية ، بعدها اضيفت مجموعة مكونة من (١٢) شخصا ، كما تم تشكيل مجموعة قبطية في منطقة شبرا . بعدها بدا تشكيل لجان في كل منطقة من مناطق القاهرة بين الفقراء ، والبقالين والحرفيين . وكانت ستارك تقيم حفلة شاي كل اسبوع في شقتها بالقاهرة المطلة على النيل يحضرها اثنان من كل خلية . وامتد نشاط الجمعية الى مشايخ الجامع الازهر حيث كان يجتمع١٥/١٢ عضواً اجتماعات منتظمة [٩].

وبذلك جندت الجمعية الشعب المصري لصالحها ، لان الكثير من العمد (جمع عمدة) والمشايخ ومأموري المراكز انضموا الى الجمعية ، مع وجود فئات مندسة بين الشعب مهمتها التبليغ عن الشائعات التي تروج لصالح دول المحور . ليس هذا فحسب بل تم تشكيل لجان للنساء تديرها (ميري بري Marry Parry) . ومن مظاهر نشاط هذه الجمعية اصدار نشرة اسبوعية تحمل اسم (اخوان الحرية) رئيس تحريرها شفيق رمزي واطلق على واجهات بعض المحلات اسم الجمعية مثل صالون اخوان الحرية ، مطبعة الحرية ، بورصة اخوان الحرية ، قهوة اخوان الحرية [١٠].

واما التشكيل الاداري للجمعية في مصر. فيتكون من المدير المسؤول (رونالد فاي Ronald Fay) مع اثنين من المساعدين البريطانين من الذكور ومساعدة واحدة من الاناث وثلاثة مساعدين مصريين [١١].

لم يتوقف نشاط جمعية اخوان الحرية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ م بل استمرت في نشاطها حتى عام ١٩٥٢ م بعد حرق كنيسة السويس يوم ٤ كانون الثاني ١٩٥٢ قدم وزير الشؤون الاجتماعية ابراهيم فرج تقريرا " شفويا " امام مجلس الوزراء بتاريخ ١١ كانون الثاني ١٩٥٢ م قال فيه : (ان جماعة اخوان الحرية العميلة لبريطانيا وراء حادث الكنيسة لغرض اثارة فتنة طائفية) وطالب بحل الجمعية رسميا واغلاق نواديها . واصدر مجلس الوزراء قراراً بذلك في الجلسة نفسها [١٢].

وفي فلسطين طرح رئيس دائرة الاستعلامات العامة البريطانية في القدس يوم ١٠ اب ١٩٤٣ م رأياً يتضمن فكرة تأسيس جمعية إخوان الحرية في فلسطين يتولاها العرب انفسهم ، وحددت دائرة الاستعلامات اهداف هذه الجمعية في فلسطين على النحو الاتي :

١ – تبنى مفهوم مابعد الحرب على اعتبار ان مستقبل العرب لايكتب له النجاح الابالتعاون مع الامم المتحدة بصورة عامة وبريطانيا بصورة خاصة .
٢ – ليست للجمعية علاقة بالمشاكل السياسية او الاجتماعية . بل مهمتها خارج الافكار غير السياسية كالتعليم والتعليم المهني والزراعة ورعاية الاطفال .
٣ – ايجاد قناة اتصال غير رسمية بين الحكومة والسكان [١٣].

وقد وافقت وزارة الاعلام على انشاء جمعية اخوان الحرية في فلسطين في كانون الاول ١٩٤٣ م بين النساء دون الرجال وتحت اشراف (عبلة هدى) وبلغ عدد العضوات في الجمعية (٥٠٠) [١٤].وانيطت مهمة الاشراف على لجان الرجال لشخصية بريطانية تعمل في فلسطين . لان المندوب السامي البريطاني اعطى اهمية لضمان العاملين في الجمعية ضمن مميزات خاصة فيما يتعلق في المزاج والشخصية وهما عاملان مهمان في طبيعة العمل المطلوبة[١٥] .

ومما تجدر الاشارة اليه ، ان فكرة تاسيس جمعية اخوان الحرية في سوريا ولبنان قد لاقت معارضة فرنسا في الوقت الذي كان الميجر سكيف ، يتمنى تاسيس الجمعية في سوريا ولبنان حالما تسنح الظروف سواء خلال الحرب او بعدها . لكن الموقف الفرنسي حال دون ذلك . ويتساءل فيما لو حصل تغييرا على الموقف الفرنسي فان من المرغوب فيه ان يتم البدء بتاسيس هذه الجمعية فورا ودون تاخير [١٦].

جمعية اخوان الحرية في العراق :

لم تظهر تشكيلات جمعية اخوان الحرية في الوقت نفسه الذي ظهرت فيه في عدن ومصر (كما ذكرنا سابقا) . لعوامل يمكن تحديدها بالاتي :

١ – سوء الوضع العسكري للحلفاء بعد سقوط باريس في ١٠ حزيران ١٩٤٠ م ادى الى لجوء بريطانيا الى الدعاية المضادة للمحور .

٢ – دخول ايطاليا الحرب الى جانب المانيا في ١١ حزيران ١٩٤٠ م كطرف مؤثر على ميزان القوى لصالح المحور .

٣ – اصبح خطر الحرب يهدد الاراضي المصرية من خلال تواجد القوات الايطالية على الاراضي الليبية .

اما العراق فكان وضعه يختلف عن مصر ، لبعده عن جبهات الحرب . كما ان النشاط القومي كان في اوج قوته على الصعيديين السياسي والعسكري ممثلا بنادي المثنى وتاثير القادة الاربعة (صلاح الدين الصباغ ، وفهمي سعيد ، ومحمود سلمان ، وكامل شبيب) . اضافة الى دور مفتي فلسطين الحاج محمد امين الحسيني في الاحداث التي رافقت _قيام الحرب العالمية الثانية في الاول من ايلول ١٩٣٩ م . كما ان الموقف الواضح للحكومة العراقية برئاسة رشيد عالي الكيلاني (٣١ / ٣ / ١٩٤٠ م – ٣١ / ١ / ١٩٤١ م) بعد دخول ايطاليا الحرب ، وهو عدم قطع العلاقات الدبلوماسية مع ايطاليا كما قطعت مع المانيا ، ورفع شعار الحياد . يضاف الى ذلك دور الشعب العراقي في الوقوف بوجه بريطانيا . وهذا ماكده السفير البريطاني في بغداد بقوله (ان العناصر التي تتكون منها البلاد اصعب مراسا لدى التعامل معها من الشعوب اخرى مثل شعب مصر او شعب شرق البحر المتوسط) [١٧].

نلاحظ مما تقدم اعلاه ، ان بريطانيا لم تفكر بتاسيس جمعية اخوان الحرية في العراق في الوقت نفسه التي تاسست فيه الجمعية في كل من عدن ومصر ، الا بعد فشل ثورة مايس ١٩٤١ م ودخول العراق في احتلال بريطاني ثانٍ . لكن هذا لايعني ان عمل الجمعية سيكون سهلا ، فهذه فاريا ستارك تعترف في مذكراتها المؤرخة في ١٣ تموز ١٩٤٤ م عن صعوبة العمل في العراق اذ تقول : (لم يكن لدي شك ولو للحظة في امكانية الاقناع . ولكن المشكلة كانت في البداية مع الاقناع الحقيقي واضافت قائلة بانها القت بعض البذور في ارض شوكية)[١٨] .

اذن لاقت ستارك صعوبة في عملها بالعراق ، لان الحصول على التاييد الشعبي لبريطانيا في العراق يعد عملا مضنيا ، وعدت ستارك هذا الموقف الوطني للشعب العراقي بانه عمل عدواني ضد بريطانيا . واعترفت ستارك ان العمل في العراق اصعب مما هو عليه في مصر . لان

الشخصية العراقية تختلف كثيرا عن الشخصية المصرية . لذلك فانها تحتاج الى شجاعة اكثر لكي تخلق حالات ترابط بين العراق وبريطانيا ، لان العداء لبريطانيا لايمكن تجاهله . وادعت ستارك ان الدعاية الالمانية قد انغمست في نفوس العراقيين وان اذاعة برلين تسمع في كل المقاهي والانتصارات الالمانية كانت تلاقي الترحاب من كل العرب [١٩]. هكذا كان حال الدعاية البريطانية تتهم كل وطني بالنازية فاتهمت قادة ثورة مايس ١٩٤١ م بالنازية وهذا لايتفق مع مبادئ واهداف الثورة الوطنية والقومية .

لقد اعتمدت جمعية اخوان الحرية المبادئ الاتية في عملها للتغطية على عملها التجسسي ، وهي :

١ – الاهتمام بالخدمات العامة .
٢ –النشاط في اوساط الطبقة العامة .
٣ – استخدام لغة البلد بوصفها وسيلة لانتشار افكارها .
٤ – عمل الجمعية عمل ديناميكي [٢٠].

وطبيعي ان تلعب فاريا ستارك الدور الرئيسي في تاسيس الجمعية في العراق كما فعلت في عدن ومصر . فعند زيارتها لوزير الداخلية صالح جبر سلمته رسالة جاء فيها : (ان عصبتنا نشأت في مصر واخترنا لانفسنا اسم اخوان الحرية وليس لنا أي هدف سياسي بل تنحصر غايتنا في السعي قولا وفكرا لمساندة الديمقراطية التي تؤمن بلادكم وبلادي بصدق دعواها . وليست عصبتنا سوى جماعات صغيرة من الاصدقاء ، تجتمع في بيوت الافراد لمنافشة الانباء والتعاون على نشر الاخبار الحقيقية ومكافحة مساعي عملاء الفاشست والنازية الذين يبثون الاشاعات الكاذبة) [٢١].

وجاء رد صالح جبر على رسالة ستارك بتاريخ ٩ تموز ١٩٤٢ م بالموافقة على تاسيس جمعية اخوان الحرية تتكون لجنتها العليا من وزراء الداخلية والمعارف و العدلية وامين العاصمة ورئيس اركان الجيش ومدير الشرطة العام [٢٢]. وكانت هذه اللجنة تجتمع مرة كل شهر في دار فاريا ستارك [٢٣].

اما التوزيع الوظيفي للجمعية في العراق بموجب تعليمات وزارة الاعلام في لندن فانه يتكون اضافة الى فاريا ستارك من الملازم (تولاست Tollast) مع بعض الوظائف الاحتياطية لاثنين من المساعدين العراقيين . والبقية من الموظفين البالغ عددهم (١١) فهم كتاب ومترجمون ومحررون للنشرة الاسبوعية [٢٤]. التي تتضمن مواضيع شتى كما ورد في العدد (١١٧) الصادرة في ١٢ شباط ١٩٤٤ م منها :

١ – لائحة التعليم البريطانية الجديدة المطبقة في بريطانيا .
٢ – تحديد المنسوجات والاقمشة . الغرض منها تقسيم الحصص والسيطرة على اسعار الاقمشة وكيفية توزيعها بوساطة (الكوبونات) . وتطلب الجمعية من اعضائها تثقيف الاصدقاء على كيفية استعمال الكوبونات التي تبقى سارية المفعول لمدة ستة اشهر .
٣ – مرض دودة الانكيلوستوما . كما وضحها العميد موليفيان اخصائي امراض الملاريا في محاضرة القاها لاعضاء الجمعية [٢٥].

عارضت الحركة القومية في العراق جمعية اخوان الحرية لانها مركز للجاسوسية البريطانية ، اضافة الى انها مارست اعمالا تريد من ورائها الحصول على التاييد الديني فمثلا على ذلك فرع الجمعية في النجف كان يشجع الناس على (تطبير) رؤوسهم يوم عاشوراء ويوزع عليهم الاكفان مجانا . اما الحزب الشيوعي فقد صنف اعضاء الجمعية الى ثلاثة اصناف هي :

١ – الانتهازيون الذين ارادوا الاستفادة من الانتماء الى الجمعية .
٢ – المشكوك في مبادئهم الماضية .
٣ – جمال السكرتيرة الشابة [٢٦] .

لكن ما اراده السيد جعفر عباس حميدي عن موقف الشيوعيين من جمعية اخوان الحرية يتعارض مع الواقع . لان العلاقة بين الحزب الشيوعي العراقي والسفارة البريطانية قد تحسنت بعد فشل ثورة مايس ١٩٤١ م ودخول الاتحاد السوفيتي الحرب بجانب الحلفاء . والاكثر من هذا مطالبة فهد – سكرتير اللجنة المركزية – بتدخل بريطانيا في شؤون العراق الداخلية لمنع أي اعتداء على المبادئ الديمقراطية . كما تطوع الشيوعيون للمجهود الحربي البريطاني فجندوا لحراسة وسائط النقل ومعامل التصليح وكل ما يستفيد منه الجيش البريطاني . ولهذا قدم بيثوب yathop مدير المخابرات البريطانية في الشرق مساعدة مالية للحزب الشيوعي من اجل استمراره في اصدار جريدته المركزية الشرارة التي اسهمت بشكل كبير مع السفارة البريطانية بتقديم قوائم باسماء الوطنيين بحجة انهم جواسيس للمحور . كما ان السلطات العراقية لم تتعرض لاجتماعات الحزب الشيوعي [٢٧].

ولما كانت المصالح متبادلة مابين الحزب الشيوعي والسفارة البريطانية في بغداد . اصدر الحزب الشيوعي اوامره الى الاعضاء البارزين على المشاركة الفعلية في نشاط جمعية اخوان الحرية . واستجاب الاعضاء لذلك وانضموا الى الجمعية وابرز هؤلاء عزيز شريف وناظم الزهاوي وشريف الشيخ [٢٨]. اذن لم تكن جمعية اخوان الحرية موجهة ضد الشيوعيين بقدر ماكانت موجهة ضد الحركة الوطنية والقومية .

ونظرا لسوء الاوضاع في العراق نبهت وزارة الاعلام البريطانية الى خطورة الدعاية السوفيتية التي سيكون لها اثارها الكبيرة على الشعب العراقي الذي ينظر الى بريطانيا من خلال الطبقة الحاكمة . والمطلوب اعطاء اهمية لجمعية اخوان الحرية لوقف الدعاية السوفيتية والاتصال مع الشعب على اساس المساواة الاجتماعية[٢٩] .

ومهما يكن من امر ، فان فاريا ستارك قد نجحت في كسب بعض العراقيين للانضمام الى الجمعية حيث بلغ أعضاؤها (٧) الاف عضو حتى عام ١٩٤٣ م موزعيين على (٦٠٠) لجنة في انحاء العراق . وكانت شارة الجمعية حرف (V) مع يدين متماسكتين [٣٠] في وقت كانت الحكومة العراقية غير متحمسة لتاسيس جمعية اخوان الحرية كما ورد ذلك على لسان السفير البريطاني كورنواليس عندما قال : (ثمة خطر حقيقي تواجهه جمعية اخوان الحرية ألا وهو الشك الذي اصاب الحكومة العراقية تجاه هذه الجمعية) . الا ان هذا الخطر قد مر بسلام كما قال السفير البريطاني [٣١].

اهداف جمعية اخوان الحرية :

حددت احدى الوثائق البريطانية الصادرة في شهر تشرين الثاني ١٩٤٣ م اهم اهداف جمعية اخوان الحرية في العراق وعلى النحو الاتي : –

١ – ان الهدف من تواجد الجمعية هو زيادة ثقافة المواطنين والسعي الى نشر الوعي بالقيم التي تشكل البينة الاساسية للدستور العراقي .

٢ – تحقيق الهدف السابق يتطلب نشر المعلومات المتعلقة بالحقائق والامور الفكرية من خلال النشرات الاسبوعية والمحاضرات والزيارات واقامة المعارض وتشجيع الحوار المنظم الذي يبعد اعضاء الجمعية عن التعصب وروح التخريب والتخلي عن المشاجرات الشخصية .

٣ – العمل على تطبيق المبادئ الديمقراطية في جميع انحاء العالم . في الوقت الذي تولي الجمعية اهتماما خاصا بالعراق وشعوب المنطقة .
٤ – تعزيز مبادئ التعاون الدولي بشكل عام ، استنادا الى العلاقة الخاصة التي تربط العراق مع بريطانيا ، كما انها ستفعل ما بوسعها لتحقيق التنفيذ الفعلي لهذا المبدأ في العلاقات العراقية البريطانية على مستوى الشعبين .
٥ – تهيئة الجماهير تهيئة فكرية وتوافر الاوضاع الجيدة لنمو الوعي الاجتماعي مع الاخذ بنظر الاعتبار ، ان الجمعية لاتاخذ على عاتقها التعهد بالعمل الاقتصادي والاجتماعي على الرغم من انها تعمل جاهدة على تشجيع اعضائها كافراداً ومجموعات والتعهد بتطوير هذه المشاريع .
٦ – تؤكد الجمعية ان المناصب في الجمعية وطبيعته والأسبقية في عضوية هذه الجمعية تعتمد على درجة الفعالية والعمل اللذين يتوافران عند انجاز العمل الرئيسي الذي يقوم بادائه اعضاؤها كافراداً ومجموعات . وبموجب ذلك قسم العمل الى نوعين :-
أ – اللقاء الاسبوعي لكل مجموعة لمدة ساعة واحدة على الاقل يتم فيه مناقشة محتويات النشرة الاسبوعية الصادرة عن الجمعية والتي ترسل إلى مسؤول كل مجموعة .
ب – الهدف من النشرة الاسبوعية هو نقل المعلومات وتوجيه المناقشات بين المجموعات . وتتناول النشرة المواضيع الاتية : –

اولا –المواطنة :-

وتشمل على واجبات المواطن ، وهي :
- طبيعة المعلومات النموذجية .
- تدريب ممثلي الجمعيات الفرعية من قبل المؤسسات المحلية .
- كيف يمكن للمؤسسات المحلية ان تساعد الادارة المركزية .

ثانيا –الثقافة : –

وهي توافر نظام جديد يلائم الظروف المحلية التي يعيشها العراق ، وتشتمل على :-
- بناء الشخصية .
- التدريب المهني .
- تعليم وتثقيف النساء .

ثالثا –المؤسسات المحلية : –

ان واجبات المؤسسات المحلية الافادة من فائض الثروة لمنفعة المنطقة من خلال المساعدة الذاتية . وتتألف المؤسسات المحلية من :-
- الجمعيات الزراعية .
- الجمعيات التعاونية .
- جمعيات البناء .
- الصناعات المحلية .
- تعليم الكبار .
- رعاية الاطفال والصبية .

رابعا –الموارد الوطنية : –

وتتمثل بـ :
- المشاريع الوطنية من خلال السيطرة على المياه والتشجير واستصلاح الاراضي .
- استثمار رأس المال الداخلي المتراكم .

- العلاقات مع راس المال الدولي .
- المنافسة والتعاون الدولي .
- مكانة العراق في الاقتصاد العالمي .
- علاقة السياسة مع الاقتصاد .

خامسا –المستوى المعاشي : –

وهي التاكيد على المستوى المعاشي فيما يتعلق بالصحة والاراضي المستوطنة والتغذية . ا والمستوى المعاشي يتعلق بالتقاليد – المؤسسات الاقطاعية ، والنظام العشائري ، والزواج المبكر مع الاخذ بنظر الاعتبار الملابس الغربية وتاثيث البيوت .

سادسا – مشاكل المواطنة :–

يتم التاكيد هنا على المرأة بصفتها بانية المجتمع اضافة الى الاقليات الدينية والقومية والحاجة الى التسامح لان الاختلافات الطائفية عائق في طريق قيام وطن موحد[٣٢] .

الاعمال الانفة الذكر تحسس البعض من المواطنين بان الجمعية وكأنها مؤسسة وطنية وقومية تعمل للعراق وشعبه ، وان بريطانيا الدولة الصديقة التي تعمل للعراق وتسعى الى تحسين اوضاعه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والقضاء على الاوضاع الفاسدة . وهذا ماتؤكده رسالة الخارجية البريطانية الى السفارة البريطانية في بغداد بتاريخ ٢٢ ايار ١٩٤٤ م عن دور اخوان الحرية في الايضاح للمواطن العراقي عن دور بريطانيا في القضاء على الفساد ، لان السفارة البريطانية لاتستطيع ان تتدخل بشكل مباشر لتسيير الامور . وتضيف الخارجية البريطانية قائلة (من هنا تبرز اهمية جمعية اخوان الحرية التي تهيء الاتصالات لتنوير الرأي العام العراقي) [٣٣] هذا الكلام لاينفي تدخل السفارة البريطانية في شؤون العراق الداخلية والخارجية بل العكس هو الصحيح.

نادي اخوان الحرية :–

تم افتتاح نادي اخوان الحرية في بغداد يوم ١٨ نيسان ١٩٤٤ م وحضر حفل الافتتاح رئيس الوزراء نوري سعيد والسفير البريطاني وعدد من الوزراء والنواب والقائد العام للقوات البريطانية في العراق وايران[٣٤].

إن الأسباب الموجبة لتأسيس النادي هي أن جمعية اخوان الحرية أدركت في سنوات الحرب الاخيرة . بانها لاتستطيع أن تحقق اهدافها عن طريق النشرة الاسبوعية . لهذا قررت الجمعية انشاء نادي يضم اعضاء من مختلف شرائح المجتمع يحافظ على الروابط بينهم ويناقس مشاكلهم [٣٥].

ويبدو ان الهدف الاساسي من تاسيس النادي هوخلق حياة جديدة للاعضاء المنتمين لجمعية اخوان الحرية ، يعني التجديد في العمل ، لأن مستقبل عمل الجمعية في العراق كان لايبعث عن الارتياح لدى الميجر سكيف ، وقد وضح ذلك الى وزارة الاعلام البريطانية في كانون الاول ١٩٤٣ م . اما السفير البريطاني فقد ابدى اسفه الشديد عن احتمال توقف نشاط الجمعية في العراق . لانها لن تستطيع الاستمرار في العمل بالشكل الفعال ، وتساءل السفير ماذا سيحل بالجمعية ؟ فاجاب قائلا : " يبدو لي اما ان تحل هذه الجمعية او يتم اجهاضها وهذا بالنتيجة سيكون عملا متهورا لان الجمعية ستتحول الى كتل محلية مكرسة لاغراض المكائد السياسية والخدع الشخصية واخيرا فنحن بدورنا مسؤولون عن ذلك[٣٦] .

وعلى هذا الاساس وافقت وزارة الخارجية على مقترحات الميجر سكيف المرسلة الى وزارة الاعلام والتي تتضمن تحويل نشاط الجمعية من ترويج المجلات الدعائية ضد النازية الى مسالة تثقيف

المواطن العراقي تماشيا مع المشروع الذي تم اعداده للعراق وهو التدريب التقني والزراعة ورعاية الاطفال [٣٧].

وفي حفل الافتتاح القى " سعيد حسيب " – رئيس اللجنة المركزية في بغداد – خطابا امام الحضور البالغ عددهم ٣٠٠ شخص ، اكد فيه على تصميم الجمعية في تحقيق اهدافها ومحاربة الدعاية المعادية لبريطانيا والتي سماها " بالدعاية النازية التي استهدفت قلوب البسطاء " . وهذا اعتراف من رئيس اللجنة يبين الى أي مدى كره العراقيين لبريطانيا . وادعى ان الجمعية استطاعت تفنيد الادعاءات المعادية بالنقاش كما حذرت الناس من مغبة الوقوع في شرك الدعاية المعادية . وبالغ رئيس اللجنة في خطابه عندما قال : " إن الجمعية في العراق وجدت أرضا خصبة في عملها حيث اجتذبت أعداداً كبيرة من العامة كاعضاء يمثلون طبقات مختلفة ابتداءا بالفلاحين البسطاء والعمال والطلاب والموظفين واصحاب الاراضي [٣٨]. وهذا يتناقض مع كلام فاريا ستارك عندما اشارت الى صعوبة عملها في العراق كما اشرنا سابقا .

وبعد ذلك القى الميجر سكيف خطابا مطولا اشار فيه الى الديمقراطية والنصر في الحرب كما تهجم على نادي المثنى متهما المنتمين اليه بالنازية . فخطابه عام كما يقول السفير البريطاني : " ان حديث سكيف لم يكن مؤثرا [٣٩] من ناحية اخرى فخطاب سكيف خلق ردود فعل الاعضاء المنتمين لنادي المثنى . فهذا محمد مهدي كبة نائب معتمد النادي رد في مذكراته على خطاب سكيف بكلمة شديدة اللهجة نشرته جريدة البلاد بعد موافقة وزارة الداخلية . وطالب من الميجر سكيف سحب كلامه [٤٠].

ومن النشاطات التي مارسها نادي اخوان الحرية القاء المحاضرات التي تم جدولتها على النحو الاتي : –

١ – محاضرة للمحامي سعيد نجيب الراوي يوم ١٩ نيسان ١٩٤٤ م بعنوان " مظاهر النظام الديمقراطي "

٢ – محاضرة للسيد حسن احمد السلمان يوم ٢٥ نيسان ١٩٤٤ م بعنوان " المواطن وماتعني المواطنة "

٣ – محاضرة للسيد سلمان الشيخ داود يوم ١٦ ايار ١٩٤٤ م بعنوان " الكفاح في سبيل الديمقراطية واهدافها "

٤ – محاضرة للسيد عبد الحليم السنوي يوم ٢٣ ايار ١٩٤٤ م بعنوان " الحياة العشائرية في العراق [٤١]

واخيرا فان نشاط جمعية اخوان الحرية في العراق قد توقفت بانتهاء الحرب العالمية الثانية ، رغم الدعوات المتكررة من بعض المسؤولين البريطانيين بضرورة استمرارها . وبذلك طويت صفحة من صفحات النشاط الاستخباري البريطاني في العراق .

الخاتمة

من خلال ما تقدم يسجل الباحث النتائج الاتية : –

١ – وجود جمعية اخوان الحرية يعني اضافة عنصر جديد للمخابرات البريطانية يعمل بين صفوف الشعب . وهذا واضح من اهتمام الادارة البريطانية بهذه الجمعية لذلك اشرفت عليها شخصيات بريطانية لها معرفة في تاريخ المنطقة العربية وطبيعتها .

٢ – نشاط الجمعية استهدف الحركة القومية بالدرجة الاولى . لانها اتهمت القوميين بالنازية . كما نلاحظ انضمام بعض العناصر الشيوعية الى الجمعية لان الهدف واحد .

٣ – لم يكن عمل الجمعية سهلا في العراق كما كان الحال في مصر لذلك انتهى عمل الجمعية في العراق بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بينما استمر العمل الى مصر عام ١٩٥١ م .

المصادر والمراجع

١- F.O.371 : E2515 / 1090 /93. From foreign office to Baghdad , 22/ 5 /1944

٢- محمد عشماوي : تاريخ الفكر السياسي المصري ١٩٤٥ – ١٩٥٢ رسالة دكتوراه جامعة القاهرة ١٩٧٧ " الاصل " ص ٨ .

٣- F.O. 371 : E 2951 / 1090 / 93 from Baghdad to foreign office 27/2/1944

٤- F.o. 371 : J 2149 / 228 / 16 :A pamphlet in dfence of propaganda by Freya Stark . 13/71944.

كان سكرتير الجمعية في عدن علي محمد لقمان

٥- F.o.371:E2515/1090/93. Minstry of information . 14/4/1944

٦- محمد فيصل عبد المنعم : الى الامام يارومل : القاهرة ١٩٧٦ ص ٣٦.

٧- محمد عشماوي : المصدر السابق ص.١٧

٨- المصدر نفسه ص.١٧

٩- F.o .371 :J2149/228/16. Ibid

١٠- محمد عشماوي : المصدر السابق ص ١٨-٢١.

١١- F.o.371: E2515/1090/93. Minstry of information 14/4/1944

١٢- محمد عشماوي : المصدر السابق : نقلا عن دراسة جمال الشرقاوي : حريق القاهرة ص ٢٨ .

١٣- F.o.371:E2951/1090/93.from Area officer Ikhwan Al Hurriya To chife Secretary Government of Palestine 10/8/1943

١٤- F.o.371:E2515/1090/93. Minstry of information December 1943.

١٥- F.o.371:S.F.90/43.Chife Secretary's office Jerusalam 17/9/1944.

١٦- F.o.371: Memorandum on the Ikhwan Al – Hurriya by the Area officer . 27/12/1943.

١٧- F.o.371:J2149/228/16. A pamphlet in defence of propaganda by Freya Stark . 13/7/1944.

١٨- F.o.371 : J2194/228/16:Ibid

١٩- F.o.371:J2149/228/16: Ibid

٢٠- F.o.371:J2149/228/16: Ibid

٢١- جعفر عباس حميدي : التطورات السياسية في العراق ١٩٤١-١٩٥٣. النجف ١٩٧٦ ص ٩٣-٩٤

٢٢- نادي اخوان الحرية في العراق : مطبعة الاهالي بغداد ١٩٤٣ ص٣ .

٣٢- F.o.371:J2149/228/16: Ibid
خصص قسم الاعلام في السفارة البريطانية منح نقدية لفاريا ستارك كلما اقتضت الحاجة.
٢٤- F.o.371:E2515 /1090/93. From Ministry of information to Dunds . 19/4/1944.
٢٥- F.o.371 : E2951/1090/93. Ikhwan Al- Hurriya Bulletin No. 117.12/2/1944
٢٦- حميدي : المصدر السابق ص٩٧ .
٢٧- سمير عبد الكريم : اضواء على الحركة الشيوعية ، ج١ بيروت ص ٤٧-٤٨.
٢٨- احمد فوزي : غرب ام غروب ، بيروت ١٩٦٦ ص ١٢٣.
٢٩- F.o.371:E2515/1090/93. Ministry of infoamtion 14/4/1944
٣٠- حميدي : المصدر السابق ص٩٧.
٣١- F.o.371:E1659/1090/930. From Britsh Embassy Baghdad to Foreign office 27/2/1944
٣٢- F.o.371:E2951/1090/93.objects of the Akhwan Al Hurriya and Mathods of working in Iraq .1943
٣٤- جريدة الزمان : العدد ٢٠٠٠ بتاريخ ١٩٤٤/٤/١٩
٣٥- F.o.371:E3070/1090/93. British Embassy Baghdad to Foreign office 2/5/1944.
٣٦- F.o.371:E3070/1090/93 : Ibid.
٣٧- F.o.371/ J2149/228/16 : O.p.Cit
٣٨- F.o.371:E3070/1090/93 : O.p.Cit
٣٩- F.o.371: E3070/1090/93. Ibid.
٤٠- جريد البلاد ١٩٤٤
٤١- F.o.371.E3070/1090/93.O.P.Cit